

## تفسير البحر المحيط

@ 157 من شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّاهُ  
يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْزَلْنَاهُ تُوًّا وَكُونَ { : لما استفهم عن أشياء  
من صفات الله تعالى واعترفوا بها ، ثم أنكروا عليهم صرفهم عن الحق وعبادة الله ، استفهم عن  
شيء هو سبب العبادة : وهو إبداء الخلق ، وهم يسلمون ذلك . { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ \* السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّاهُ } ثم أعاد الخلق وهم  
منكرون ذلك ، لكنه عطفه على يسلمونه ليعلم أيهما سواء بالنسبة إلى قدرة الله ، وأن ذلك  
لوضوحه وقيام برهانه ، قرن بما يسلمونه إذ لا يدفعه إلا مكابر ، إذ هو من الواضحات التي  
لا يختلف في إمكانها العقلاء . وجاء الشرع بوجوبه ، فوجب اعتقاده . ولما كانوا لمكابرتهم  
لا يقرون بذلك أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ) أن يجيب فقال : قل الله يبدأ الخلق ثم  
يعيده ، وأبرز الجواب في جملة مبتدأة مصرح بخبرها ، فعاد الخبر فيها مطابقاً لخبر اسم  
الاستفهام ، وذلك تأكيد وتثبيت . ولما كان الاستفهام قبل هذا لا مندوحة لهم عن الاعتراف به  
، جاءت الجملة محذوفاً منها أحد جزءيها في قوله : فيقولون الله ، ولم يحتج إلى التأكيد  
بتصريح خبرها . ومعنى تؤفكون تصرفون وتقبلون عن اتباع الحق . .

{ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّاهُ يَهْدِي  
لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ } : لما بين تعالى عجز  
أصنامهم عن الإبداء والإعادة اللذين هما من أقوى أسباب القدرة وأعظم دلائل الألوهية ، بين  
عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية إلى الحق وإلى مناهج الصواب ، وقد أعقب  
الخلق بالهداية في القرآن في مواضع قال تعالى حكاية عن الكلبيم : { قَالَ رَبِّ انْزِلْ  
الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } وقال : { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى  
\* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } فاستدل بالخلق والهداية على وجود الصانع ، وهما حالان  
للجسد والروح . ولما كانت العقول يلحقها الاضطراب والغلط ، بين تعالى أنه لا يهديهما  
إلا هو بخلاف أصنامهم ومعبوداتهم ، فإنه ما كان منها لا روح فيه جماد لا تأثير له ، وما  
فيه روح فليس قادراً على الهداية ، بل الله تعالى هو الذي يهديه . وهدي تتعدى بنفسها  
إلى اثنين ، وإلى الثاني بإلى وباللام . ويهدي إلى الحق حذف مفعوله الأول ، ولا يصح أن  
يكون لازماً بمعنى يهتدي ، لأن مقابله إنما هو متعد ، وهو قوله قل : الله يهدي للحق أي  
يهدي من يشاء إلى الحق . وقد أنكروا المبرد ما قاله الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري من  
أن يكون هدى بمعنى اهتدى ، وقال : لا نعرف هذا ، وأحق ليست أفعال تفضيل ، بل المعنى حقيق

بأن يتبع . ولما كانوا معتقدين أن شركاءهم تهدي إلى الحق ، ولا يسلمون حصر الهداية □  
تعالى أمر نبيه صلى □ عليه وسلم ) بأن يبادر بالجواب فقال : قل □ يهدي للحق ، ثم  
عادل في السؤال بالهمزة وأم بين من هو حقيق بالاتباع ، ومن هو غير حقيق ، وجاء على  
الأفصح الأكثر من فصل أم مما عطفت عليه بالخبر كقوله : { أَدَالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَدَّةُ  
الْخُلْدِ } بخلاف قوله : { أَقَرِّيبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوَعَّدُونَ } وسيأتي القول في  
ترجيح الوصل هنا في موضعه إن شاء □ تعالى . .

وقرأ أهل المدينة : إلا ورشا أمن لا يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتشديد الدال ،  
فجمعوا بين ساكنين . قال النحاس : لا يقدر أحد أن ينطق به . وقال المبرد : من رام هذا  
لا بد أن يحرك حركة خفيفة ، وسيبويه يسمي هذا اختلاس الحركة . وقرأ أبو عمرو وقالون في  
رواية كذلك : إلا أنه اختلس الحركة . وقرأ ابن عامر ، وابن كثير ، وورش ، وابن محيصن :  
كذلك إلا أنهم فتحوا الهاء وأصله يهتدي ، فقلب حركة التاء إلى الهاء ، وأدغمت التاء في  
الدال . وقرأ حفص ، ويعقوب ، والأعمش عن أبي بكر كذلك ، إلا أنهم كسروا الهاء لما اضطر  
إلى الحركة حرّك بالكسر . قال أبو حاتم : هي لغة سفلى مضر . وقرأ أبو بكر في رواية  
يحيى بن آدم كذلك ، إلا أنه كسر الياء . ونقل عن سيبويه أنه لا يجيز يهدي ، ويجيز تهدي  
ونهدي وأهدى قال : لأن الكسرة في الياء تثقل . وقرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويحيى بن  
وثاب ، والأعمش : يهدي مضارع هدى . قال الزمخشري : هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا  
يهدي ، أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره ، إلا أن يهديه □ . وقيل : معناه أم من لا  
يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه ، إلا أن يهدي ، إلا أن ينقل أولاً يهتدي ، ولا يصح  
منه الاهتداء إلا بنقلة □ تعالى من حاله إلى أن يجعله حيواناً مطلقاً فيهديه انتهى .  
وتقدم إنكار المبرد ما قاله الكسائي والفراء وتبعهما الزمخشري : من أن هدى بمعنى  
اهتدى . وقال أبو علي الفارسي : وصف الأصنام بأنها لا تهتدي إلا أن تهدي ، ونحن نجدها لا  
تهتدي وإن هديت . فوجه ذلك أنه عامل في العبادة عنها معاملتهم في وصفها بأوصاف من يعقل  
، وذلك مجاز وموجود في كثير من القرآن . وقال ابن عطية : والذي أقول إن قراءة حمزة  
والكسائي يحتمل أن يكون المعنى أم من لا يهدي أحداً إلا أن يهدي ذلك الأحد بهداية من عند  
□ ، وأما على غيرها من القراءات التي مقتضاها أم مَن لا يهتدي إلا أن يهدي فيتجه المعنى  
على ما تقدم لأبي علي الفارسي ، وفيه تجوز كثير . ويحتمل أن يكون ما ذكر □ من تسبيح  
الجمادات هو اهتداؤها . وقيل : ثم الكلام عند قوله : أم من لا يهدي أي لا يهدي غيره ، ثم  
قال : إلا أن